



حين وصلت باريس في اليوم الثاني من السنة الجديدة، على متن القطار المنطلق من لييج البلجيكية مروراً ببروكسل، كانت وسائل الإعلام قد ذكرت إنّها تعيش حالةً من التوتر، والتحفز، والاستنفار الأمني تحسّباً لوقوع هجمات إرهابية، لذلك لم أخاجأ، عندما وجدت نفسي أقف في طابور طويل، في رصيف المحطة إلى جانب الكثير من زوار العاصمة الفرنسية من العرب، والأجانب، لاستكمال إجراءات تفتيش لم أهدها من قبل في المحطة نفسها، وحين اقتربت من

الشرطـي شاهـراً "دلـيل إدانـي" وأعـني جـواز سـفرـي، متـوـقـعاً أـن يـصـرـخـ: وجـدـتهـ، كـمـا صـرـخـ عـالمـ الـرـياـضـياتـ اـرـخـمـيدـسـ حـينـ اـكـتـشـفـ قـانـونـ المـازـاحـ "المـاءـ المـزـاحـ يـساـويـ وزـنـ الـأـجـسـامـ المـغـمـوـرـةـ"ـ،ـ لـكـنـ الشـرـطـيـ لمـ يـفـعـلـ شـيـئـاـ مـنـ هـذـاـ،ـ بلـ اـبـتـسـمـ بـوجـهـيـ،ـ فـاسـحـاـ المـطـرـيقـ لـيـ لـلـسـيرـ فـيـ عـاصـمـةـ الـنـورـ،ـ وـالـجـمـالـ الـتـيـ كـانـتـ قـدـ طـوـتـ قـبـلـ لـيـلـةـ آـخـرـ صـفـحةـ فـيـ دـفـتـرـ عـامـ،ـ مـرـثـقـيـلـاـ عـلـيـهـاـ،ـ إـذـ شـهـدـتـ خـالـدـهـ حـادـثـيـنـ الـأـوـلـ كـانـ فـيـ مـثـلـ هـذـهـ الـأـيـامـ،ـ مـنـ الـعـامـ الـمـاضـيـ،ـ تـمـثـلـ بـالـهـجـومـ عـلـىـ صـحـيـفـةـ "ـشـارـلـيـ إـبـدـوـ"ـ،ـ وـالـثـانـيـ وـقـعـ بـعـدـ أـنـ فـتـحـ إـرـهـابـيـوـنـ النـارـ عـلـىـ مـرـتـاديـ عـدـدـ أـمـاـكـنـ لـيـخـلـفـوـاـ مـجـزـرـةـ،ـ لـكـنـيـ بـعـدـ أـنـ قـمـتـ بـجـولـةـ فـيـ شـوـارـعـهـاـ وـجـدـتـ

باريس، كـمـا رـأـيـتهاـ مـنـ قـبـلـ،ـ تـضـحـ بـالـحـيـاةـ،ـ وـالـجـمـالـ،ـ وـتـعـزـزـ هـذـاـ الشـعـورـ فـيـ الـأـمـسـيـةـ الـتـيـ اـشـتـرـكـتـ بـهـاـ مـعـ صـدـيقـيـ الشـاعـرـ عـدـنـانـ الـصـائـغـ،ـ فـيـ فـضـاءـ لـامـارـتـانـ بـالـحـيـ الـلـاتـيـنـيـ،ـ إـذـ حـضـرـ جـمـهـورـ مـلـاـ الـقـاعـةـ،ـ وـالـلـادـفـتـ لـلـنـظـرـ أـنـ الـكـثـيرـ مـنـ الـحـضـورـ كـانـ مـنـ الـفـرنـسـيـنـ،ـ فـقـامـتـ الـمـغـرـبـيـةـ فـاطـمـةـ بـلـحـاجـ بـلـحـاجـ بـالـتـرـجـمـةـ الـمـفـوـرـيـةـ،ـ وـكـذـلـكـ اـحـتـفـتـ بـنـاـ وـسـائـلـ الـإـلـعـاـمـ الـفـرـنـسـيـةـ بـأـقـسـامـهـاـ الـعـرـبـيـةـ،ـ كـتـافـزـيـوـنـ فـرـانـسـ24ـ،ـ وـرـأـيـوـ مـوـنـتـ كـارـلـوـ،ـ وـإـذـاعـتـيـ الـشـرـقـ،ـ وـالـشـمـسـ،ـ وـكـانـ الـمـسـؤـالـ الـذـيـ تـكـرـرـ عـلـيـهـاـ هوـ:ـ كـيـفـ رـأـيـتـماـ بـارـيسـ؟ـ وـكـانـ بـارـيسـ فـتـاةـ جـمـيـلـةـ،ـ وـأـنـيـقـةـ،ـ تـقـفـ بـصـلـابـةـ بـرـجـهاـ "ـايـفلـ"ـ،ـ تـغـمـرـ زـورـهـاـ بـالـمحـبـةـ،ـ وـمـثـلـماـ تـعـاـطـتـ مـعـ حـادـثـةـ صـحـيـفـةـ "ـشـارـلـيـ إـبـدـوـ"ـ بـحـكـمـةـ،ـ تـعـاـمـلـتـ مـعـ "ـالـإـعـتـدـاءـاتـ"ـ بـرـوحـ إـيجـابـيـةـ،ـ لـيـقـيـنـهـاـ "ـأـنـ الـإـرـهـابـ"ـ لـاـ دـيـنـ لـهـ،ـ وـلـوـ أـلـقـيـنـاـ نـظـرـةـ عـلـىـ الـمـصـلـيـنـ بـمـسـجـدـ بـارـيسـ الـكـبـيرـ،ـ لـعـرـفـنـاـ مـدـىـ اـحـتـرـامـ فـرـنـسـاـ لـلـأـدـيـانـ،ـ وـهـوـ أـمـرـ ذـكـرـهـ "ـذـابـلـيـوـنـ بـوـنـاـبـرـتـ"ـ فـيـ رـسـالـةـ وـجـهـهـاـ إـلـىـ كـلـيـرـ الـجـنـرـالـ الـذـيـ عـيـهـ خـلـفـهـ،ـ بـعـدـ أـنـ عـادـ إـلـىـ بـارـيسـ سـنـةـ 1700ـ مـ،ـ وـكـانـتـ وـصـيـتـهـ لـهـ "ـإـذـاـ أـرـدـتـ أـنـ تـحـكـمـ مـصـرـ طـوـيـلاـ،ـ فـعـلـيـكـ أـنـ تـحـترـمـ عـقـائـدـ الـذـانـ الـدـيـنـيـةـ"ـ.ـ لـقـدـ نـجـحـ ذـابـلـيـوـنـ فـيـ كـسـبـ وـدـ الـمـصـرـيـيـنـ،ـ عـنـدـمـاـ اـرـتـدـيـ الـمـلـابـسـ الـشـرـقـيـةـ،ـ وـالـجـلـبـابـ،ـ وـوـضـعـ عـلـىـ رـأـسـهـ الـعـمـامـةـ،ـ وـأـسـمـيـ نـفـسـهـ "ـبـوـنـاـبـرـيـ"ـ باـشـاـ،ـ فـيـماـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ الـمـسـلـمـوـنـ "ـعـلـىـ ذـابـلـيـوـنـ بـوـنـاـبـرـتـ"ـ،ـ وـرـفـعـ أـنـ الـمـبـاحـثـيـنـ يـرـوـنـ أـنـ "ـتـلـكـ الـإـجـرـاءـاتـ كـانـتـ جـزـءـاـ مـنـ سـيـاسـةـ اـتـبـعـهـاـ،ـ لـضـمـانـ وـلـائـهـمـ لـهـ،ـ لـكـنـ الـثـابـتـ إـنـهـ نـجـحـ فـيـ هـذـاـ إـلـىـ حدـ دـاـ،ـ حـتـىـ لـوـ ظـلـتـ "ـقـضـيـةـ اـعـتـذـاقـهـ لـلـإـسـلـامـ،ـ وـلـبـسـهـ الـعـمـامـةـ،ـ كـمـاـ ظـهـرـ فـيـ بـعـضـ الـصـورـ،ـ تـشـيرـ شـكـوـكـهــ.

لـقـدـ أـدـرـكـ ذـابـلـيـوـنـ الـذـيـ جـلـبـ مـعـ جـيـشـهـ فـرـيقـاـ مـنـ الـعـلـمـاءـ،ـ وـالـمـهـنـدـسـيـنـ،ـ وـالـجـفـراـفـيـيـنـ،ـ وـمـطـبـعـةـ خـاصـةـ،ـ أـنـ مـدـاعـبـةـ مـشـاعـرـ الـعـربـ الـدـيـنـيـةـ،ـ كـفـيـلـةـ بـاسـتـمـالـةـ عـوـاطـفـهـمـ،ـ وـبـالـتـالـيـ تـقـبـلـهـمـ لـهـ،ـ وـفـيـ كـلـ هـذـاـ ظـلـتـ تـلـكـ الـمـشـاعـرـ خـطـأـ أـحـمـرـلـاـ يـمـكـنـ تـجـاـزوـهـ،ـ وـفـرـنـسـاـ الـدـوـلـةـ الـعـلـمـانـيـةـ،ـ كـمـاـ تـنـصـ الـمـفـقـرـةـ الـثـانـيـةـ مـنـ دـسـتـورـهـاـ،ـ تـحـتـرـمـ الـأـدـيـانـ كـافـةـ،ـ وـيـتـرـاوـحـ عـدـ الـمـسـلـمـيـنـ فـيـهـاـ بـيـنـ 5ـ.ـ5ـ مـلـاـيـنـ تـبـعاـ

لإحصائيّة نشرت العام 2014، وبيناء على ذلك، فالدين الإسلامي هو الدين الثاني فيها، وعلى امتداد سنوات طويلة نظرت إلى المشعائر الدينية نظرة تقدير، فسمحت بإنشاء مساجد عديدة يومها المصلون، ووفرت الحكومة الفرنسية مساحات من أراضٍ لبناء المساجد عليها، لتسير طبقاً لوصيّة ذاتليون بونابرت، لذا ظلت عمامته تؤكّد أنّ المساس بعقائد الناس عواقبه وخيمة، ولن يجلب سوى المكراهيّة، والعنف، والمفتن، والمصراعات التي حين تنشب، فإنّ نيرانها ستظلّ تستعر، فتجاوزت الحادثتين، بخاصّة أنّ مفاصل الدولة الفرنسيّة بيد فرنسيين من أصول جزائريّة، ومغاربيّة، ويكفي أن أحد الذين قتلوا في مذبحة "تشالي إبدو" كان اسمه "مصطفى" وآخر اسمه "محمد"!!!

لقد اختارت فرنساً الطريق الأسلام، وأبقيت على عمامة بونابرت جزءاً من تراث أمّة تحترم الأديان رغم علمانيّتها، لذا لم أتردّ عندما حان وقت صلاة المظهر، وكنت في الحديقة المجاورة للكنيسة "ذوتردام" أن أقف بين يدي الله، بعد أن توضّأت بالمنور، وسط المارة الذين كان البعض منهم ينظر باتجاهي، ثم يواصل سيره في مدينة مفتوحة لكل الأديان، المشعائر، والأفكار، والمنظريّات، لأنّ المنور عنوانها.